## المحاضرة الرابعة: الدولة الرستمية في المغرب الأوسط

### 1- ثورات الإباضية في المغرب وأهم زعمائها:

كان نشاط الإباضية مشابه لنشاط إخوانهم الصُفرية ومتزامنًا معهم أيضًا، وقد ثاروا بدورهم على سياسة الولاة الجائرة، وظهرت هذه الفرقة إلى الوجود ببلاد المشرق الإسلامي وكان دعاتها الأوائل إلى جانب عبد الله بن إباض، أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، وأبو عُبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري وغيرهم.

لمَّا أدرك الإباضية صعوبة الدعوة لمذهبهم في المشرق انتقلوا إلى بلاد المغرب فظهر بها سلمة بن سعد الذي يُعتبر أول داعية إباضي يدخل بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة، واستقر بمدينة سرت وقيل بالقيروان وأخذ ينشر المذهب الإباضي، فكوَّن أتباعًا وأرسل بعضهم إلى البصرة ليتلقوا العلم من علماء الإباضية، وقد ذهب منهم عبد الرحمان بن رستم، وعاصم الصدراتي، وأبو داود القبلي النفزاوي، واسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وقد مكثوا مدَّة خمس سنين وعاد هؤلاء الخمسة إلى المغرب وهم يشتعلون حماسًا لإقامة دولة على المذهب الإباضي.

وقد بايع الإباضية أبو الخطاب المعافري إمامًا لهم في محرم سنة 140هـ/جوان 757م بعد استيلائهم على مدينة طرابلس واتخذوها مقرًا لهم، واختار أبو الخطاب رفيقه في العلم عبد الرَّحمان بن رستم قاضيًا بطرابلس. وكان أبو الخطاب معروفًا بالعدل والرفق بالرعية فعظم شأنه وامتد سلطانه إلى برقة شرقًا والقيروان غربًا وفزان جنوبًا.

وكان استيلاء أبو الخطاب على القيروان سنة 141هـ/758م وأخرج قبيلة ورفجومة منها، وجعل عبد الرَّحمان بن رستم واليًا عليها، وقد مكث بها إلى سنة 144هـ/761م حيث وصلت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وهزمت الإباضية وأخرجتهم من القيروان، وقتلوا زعيمهم أبي الخطاب المعافري، وعلى إثر هذه الهزيمة أحس عبد الرَّحمان بن رستم بالخطر المحدق به بالمغرب الأدنى فقرَّر الذهاب إلى المغرب الأوسط رفقة الإباضيّين الذين نجوا من المعركة حيث لا

يصلهم جنود العباسيّين، فاستقر عند قبيلة لماية البترية وذلك لحلف قديم كان قائمًا بينه وبينهم، ولما تكاثرت عليه الجموع شرع في تأسيس قاعدة يمكن الدِّفاع عنها فكان اختياره قد وقع على منطقة تيهرت لخصوبة أرضها ووفرة مياهها وحصانة طبيعتها وجودة مناخها، وكان أول بناء شرع فيه في حدود سنة 144هـ/761م هو المسجد الجامع ثمَّ البيوت وباقي المرافق الأخرى، وبعد أن أصبحت معقلًا عمرانيًا وسياسيًا وحضاريًا وتوطدت أسس الإمارة وأركانها وترسخت دعائمها وقواعدها بايع الإباضية عبد الرحمان بن رستم بالإمامة سنة 160هـ/777م.

**2- نظام الحكم:**

ترسخ الحكم الوراثي في الأسرة الرستمية حيث اقتصر الحكم على نسل عبد الرحمان بن رستم، وناقض بذلك الرستميون مبدأ الشورى الذي ناد به الخوارج والذي ينص على عدم انحصار الحكم في قبيلة أو أسرة معينة.

وعن عمر دولتهم فقد عمرت حوالي قرنًا وثلاثين عامًا إلى أن أسقطت سنة 296هـ/909م من قبل العُبيديّين (الفاطميّين).

**3- العلاقات الخارجية:**

اتسمت العلاقات بين الرستميّين والأدارسة بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسِّياسيّة، فالأدارسة سنة مالكية أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية، وقد كان الأدارسة يغيرون على أملاك الدَّولة الرستمية لمحاولة اقتطاع أجزاء منها، ونجحوا في الاستيلاء على تلمسان سنة 173هـ/790م، كما حاكوا المؤامرات لبني رستم حيث كانوا وراء تمرد الواصليّين على الإمام عبد الوهاب سنة 195هـ/811م، وأغلب الظن أنَّ ثورات قبيلة هوارة على الرستميّين لم تخل من تحريض الأدارسة، وعن رد فعل الرستميّين الذي لم يكن قويًا فقد قام الإمام عبد الوهاب بتحريض أصهاره من بني يفرن على الثورة ضدَّ الأدارسة فنجحوا في ثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثَّاني سنة 197هـ/813م. وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السِّياسيَّة مع الأدارسة بطابع العداء وأسفر الصراع بين الدَّولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة الرستميّين لأنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم في تدبير المكائد وإحداث الشقاق.

وفيما يخص علاقتهم مع جيرانهم الأغالبة فقد قرر الرستميون اتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة وهي الجار الأقوى على حدودهم الشرقية، بالرغم من خلافاتهم المذهبية ومسألة موالاة الأغالبة لأعدائهم العباسيّين، وانتهاج الرستميّين للتعايش السلمي يرجع في حقيقة الامر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدَّولتين، إذ تطوق دولة الأغالبة الدَّولة الرستمية من الشرق والجنوب وحتَّى من الغرب لما احتل الرستميون طرابلس وما جاورها، ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم. وهذا التعايش السلمي لا يعني أنَّه لم يكن هناك عداء بينهما، بالرغم من كون الأغالبة لم يستطيعوا الإفصاح عن هذا العداء كما فعلوا مع باقي الدول المعادية للخلافة العباسية لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل والخلافات التي كانت تظهر بين الحين والآخر في مجتمع الدولة الرستميَّة.

وعن علاقة الرستميّين بالأمويّين في الأندلس فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهم العباسيون، وقد قامت بين قرطبة وتيهرت علاقات تجارية وكانت السفن تتردد على مدينتي وهران والمرية، وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، وكان لأفلح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النَّفيسة.

وبالنِّسبة لعلاقتهم مع العباسيّين فقد كانت علاقة عداء لأنَّ الرستميّين اقتطعوا جزءًا من ممتلكات العباسيّين بالمغرب، ولوجود عداء تقليدي بين الخلافة العباسية السنية وبين الإباضية باعتبار أنَّهم فرقة من الخوارج، ورغم هذا العداء فقد كانت هناك فترات من السلم والموادعة بين الدَّولتين ساهم في وجود علاقات ثقافية تمثلت في الصِّلة القوية بين الرستميّين وإباضية المشرق خاصةً أهل البصرة الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدَّولة العباسيَّة. ونفس العلاقات بالتَّقريب كانت بين الرستميّين والطولونيّين بمصر التابعين للخلافة العباسية، إلَّا أنَّ السلم كان مع الطولونيّين أفضل حيث حرص الرستميون على حسن الجوار معهم لأنَّ مصر تمثل الجار الشرقي والمنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، إلَّا أنَّه يلاحظ أنَّ العلاقات السِّياسية كانت ضعيفة في حين نشطت العلاقات التِّجارية والثقافية ومرجع ذلك أنَّ مصر كانت موالية للخلافة العباسية.